الشبكات الاجتماعية والتغيير السياسي

أ/د جمال معتوق (جامعة البليدة)

أ/ محمودي رقية (جامعة المدية)

مقدمة:

أفرزت الانترنيت و شبكات التواصل فضاءً إعلامياً واتصالياً جديداً، محدثة بيئة اتصالية جديدة أحدثت فرصاً عديدة للناشطين السياسيين وللشباب، وكل توَّاق للتعبير عن رأيه ومن يسعى للمساهمة في الحراك السياسي والاجتماعي، بغية التأثير في العملية السياسية والاجتماعية وصناعة القرار .حيث أدى ظهورها إلى تغير المعطيات تغيرا جذريا، فأصبح المتصفح أيا كان فاعلاً في العملية الاتصالية ، بمقدوره إنتاج الرسالة الإعلامية وبثها وتوزيعها، وإشراك الآخرين في التعليق عليها وإضافة ما يراه مناسباً لها. وأثرت هذه الشبكات في الفضاء الإعلامي وأصبحت قضايا الأمة تناقش بكل حرية وديمقراطية وصراحة وجرأة وشفافية ، على الشبكات الاجتماعية ، من خلال صفحات التواصل الاجتماعي التي لعبت دوراً في توعية الشباب وتجنيده وإعطائه الفرصة ليكون فاعلاً. ولعلّ ثورات التغيير العربي لأكثر دليل على تأثيرها على مستوى الفاعلين أو المتتبعين لمجرياتها من خلال الاعتماد على الرسالة السمعية المرئية بالموازاة مع النصية قصد توجيه الرأي العام وصناعة القرار.

كما كان للشبكات الاجتماعية دورا في تغيير وتجديد آليات وميكانيزمات الاتصال والإعلام والتفاعل مع القضايا المصيرية في المجتمع ، فأوجدت وسائل جديدة لتقديم الأخبار والمعلومات والصور والفيديوهات ، وكل ما من شأنه أن يقدم الحقيقة للمجتمع، ومكَّنتْ هذه البيئة الاتصالية الجديدة الكثيرين من صناعة الكلمة والصورة والرأي العام، لتصنع الخبر وتقدمه للرأي العام بنقرة صغيرة .لما تتسم به هذه الأخيرة من السمات، أما بالنسبة للمحتوى فيكون من صنع المتصفحين، بفضل ما توفره تقنيات التكنولوجيا الجديدة في مجال الإعلام والاتصال.

والمتتبع لأحداث الثورات العربية – لاسيما المصرية – يلاحظ بجلاء ما احدثته صفحات التواصل الاجتماعي "الفيس بوك ،تويتر،اليوتيب " في تحريك الشارع العربي والتأثير في الرأي العام من خلال انشاء صفحات خاصة بالثورة وتبادل الصور والفيديوهات المؤججة لرياح التغيير ،والعمل على جعل المتصفح لهذه الشبكات في قلب الحدث من خلال تزويده بمختلف المعطيات الانية .وعليه نقف عند طرح التساؤل الاتي:

- إلى أي مدى ادى استخدام الشبكات الاجتماعية الى تفعيل عملية التغيير والتأثير على الرأي العام المتصفح للشبكات الاجتماعية ؟
- و ما هو الدور الذي لعبته صفحات التواصل الاجتماعي في تفعيل الحراك السياسي – الربيع العربي– ؟
- أثر شبكات التواصل الاجتماعي في الحراك الاجتماعي والسياسي:

لم يتصور المحللون وخبراء الاعلام والاتصال مدى فاعلية شبكات التواصل الاجتماعي في عملية التغيير ،حيث أمسى الفيس بوك،تويتر،يوتيب ،فليكر ...عوالم افتراضية ومدونات الكترونية استطاعت من ان تزيد من مهارات التواصل الاجتماعي عبر الانترنيت وتعزز وجود كبير متزايد من المتصفحين حيث أطرت هذه الشبكات لعلاقات الكترونية اكثر عمقا بين المتصفحين لتبادل المعلومات والبيانات والآراء والافكار في شفافية وحرية ،وأضحت احد الوسائل المحورية في التغيير لتصنع حراكا اجتماعيا واقعيا وتركيبة متداخلة بيت افراد وجماعات مختلفة ومتجانسة في مواقع التواصل الاجتماعي التي اسهمت في تفعيل المشاركة ،لتحقيق رغبة كل متصفح في دائرة الاهتمامات والانشطة وكان لها دورا في التجييش والتفاعل والتأثير ملغية للحدود الجغرافية ودون رقابة امنية ،مستطيعة بذلك تحويل الاقوال والافكار والتوجهات الى مشاريع عمل جاهزة للتنفيذ من خلال استغلال أداتي لترسانة تكنولوجية أداتها الكلمة والصورة من خلال الاعداد والادارة والتنفيذ .

ورغم الدور الفعّال الذي لعبته شبكات التواصل الاجتماعي في الحراك السياسي والاجتماعي لاسيما ثورتي تونس ومصر وبالأخص مصر الذي نعتها البعض انها ثور الانترنيت أو الفيس بوك فإننا نميز بين التكنولوجيا –الأداة – والانسان –العقل – كوكيل للتغير ،معدّ الفكرة ووسائل تنفيذها وتنفيذها ،فالفكرة فعل مخطط من قبل الإنسان الذي سخر التكنولوجيا لا حداث التغيير ،حيث وجد في العالم الافتراضي ضالته المنشودة من خلال حسن استغلاله وادارته للشبكات التي فجر من خلالها طاقته الفكرية والتنظيمية والتي مكنته من انشاء منبر حر للتحريك من أجل التغيير ،الذي طالما كان ينشده في الواقع الذي كان يحصره فيه مخاوف امنية وعراقيل كبلت قدراته على التغيير ،واصبح هناك في المجتمع الافتراضي على شبكات التواصل الاجتماعي احساس لديه بأن القوة التي سلبت منه في قدرته على التغيير يستردها بهذه الادوات التي من خلالها خطط ونفذ وحشد الجماهير التي تشابكت افكارها واهتماماتها ورغبتها الجامحة في التغير من تجسيده على ارض الواقع حيث امتلأت الساحات واحتشدت من أجل التغيير وكان ميدان التحرير مأوها ومنبرها للتغيير بمصر.

الثورة المصرية ...خصوصية الميدان وعالمية التأثير

ونحن من خلال ذلك نعرض اهم ما جاء في ذلك ،بغض النظر عن **المحرك الفعلي لشرارة هذه الانتفاضات على المستوى المحلي والدولي وسيرورة احداثها وتباينها مع الخصوصيات السوسيوديموغرافيا والثقافية والسياسية ،والمستفيد الفعلي من اغراق المشاهد العربي خاصة وجعله في قلب هذه الثورات ،وصرفه عن فهم وابعاد وانعكاسات هذه الثورات.**

حول دور وأثر شبكة التواصل الاجتماعي "الفيس بوك " في الحراك السياسي بمصر، ويقول الدكتور **فتحي حسين عامر:** "وقد أثر الفيس بوك في الحياة السياسية أيضاً في مصر خاصة بعد ما أن أنشئ مجموعة (شباب 6 أبريل) وهذه المجموعة دعا فيه مؤسسيه إلى المشاركة مع عمال (غزل المحلة) في إضراب يوم (6 أبريل 2008), وشارك فيها أكثر من (71) ألف شخص وقد سبب هذه المجموعة في أزمة سياسية عامة وأزمة مع مؤسسة المجموعة خاصة ومع الفيس بوك عامة وكان له تأثيره الغير متوقع في حياتنا السياسية والتي تخطى بها عصر التدوين والمدونون الذين كانوا يمثلون أول طرق الحرية والتعبير عن الرأي".[17]

إلى جانب ذلك لا يمكن التغافل عن الدور البارز والمتميز والمساعد الذي لعبته الفضائيات التليفزيونية العربية مثل: (الجزيرة والعربية وقنوات أجنبية أخرى ناطقة باللغة العربية), في تغطية الأحداث التي رافقت انتفاضات واحتجاجات الشعوب في: (مصر وتونس والجزائر والبحرين وليبيا واليمن وسوريا) وغيرها, موظفة – تلك الفضائيات – أحدث ما توصلت إليه تكنولوجيا الإعلام الجديد مثل: (الفيس بوك, تويتر, واليوتيوب), في تغطية شاملة ومباشرة على مدار الساعة في حالة تصاعد الاحتجاجات وسخونة الأحداث".

أما الدكتور (**محمد شوقي**) فيتطرق بالتحليل الى " **آلية التأثير** "أي كيف تم استخدام موقعي الفيس بوك وتويتر في إدارة أنشطة وفعاليات الثورة من خلال ست مراحل خلال الفترة من (10 يناير إلى 10 فبراير). ولقد تضمنت كل مرحلة, أداء من الثوار في مقابل أداء السلطة والنظام. فيقول: "في المرحلة الأولى كان الشباب منشغلاً (بالتخطيط والحشد). وفى المرحلة الثانية كان التركيز على (الغضب المسالم) وفي المرحلة الثالثة كان الثوار يركزون على (عدالة القضية) وفي المرحلة الرابعة استخدم الفيس بوك لما سماه البعض بـ (الثبات على المبدأ) وفي المرحلة الخامسة كان الثوار يوظفون الفيس بوك في التوعية السياسية وبث الإصرار و (التركيز على الهدف) إلى أن وصلنا إلى المرحلة السادسة وهي تنظيم (جمعة الغضب) و(الزحف على القصر الرئاسي)". [18]

وبعرض وتحليل شامل **لدور وآلية تأثير شبكة التواصل الاجتماعي الفيس بوك** في تحريك وتفعيل أحداث الثورة المصرية قبل وأثناء وبعد يذكر خبير الامن المعلوماتي "**محمود الرشيدي** في كتابه [19] "الانترنيت والفيس بوك– ثورة 25 يناير نموذجا– وقد بالغ في وصفها بانها **تسونامي الكتروني** لشبكة الانترنيت حيث استخدم فيها استخدام ترسانة اسلحة تكنولوجية افتراضية في اطلاق قذائف الكترونية بعيدة المدى متخطية الحواجز الامنية والجغرافية مستهدفة تطوير وتطويع استخدامات شبكة الانترنيت ومواقع التواصل الاجتماعي في احداث هذا التسونامي الالكتروني لتجهيز وادارة ومتابعة الثورة ،وتجلى ذلك من خلال :

اما **جاك أ.قبانجي استاذ علم الاجتماع والابستيمولوجيا** بالجامعة اللبنانية سابقا[21] ان هذه الثورة هي انتفاضة نخبوية ثورة الشباب الذين استخدموا الفيس بوك وحولوه الى اداة فعالة في الاخبار والتعبئة وهم الذين حضروا الميادين بكثافة غمروها بدينامياتهم وشعاراتهم ،وهم

الذين واجهوا العنف المنظم ...والذين تمكنوا بصلابتهم من "اسقاط النظام", وهي ثورة تشكلت خارج الاطر الملاحظة والمدروسة في الحياة السياسية ،حيث ان نخبة شبابية تمتعت بسيولة التواصل عبر الانترنيت "الفيس بوك "استطاعت تجسيد التغير من خلال الاعداد والتخطيط والتعبئة ،وقد كان فيها للشباب دور فعالا واكدت على اهميتها وقدرتها على التغيير فاختصرت فعالية المجتمع لتتحول دون غيرها من الشرائح الاجتماعية الى فاعل استثنائي في انتفاضة ثورة كانت من صنع الهام تكنولوجيا التواصل الالكتروني حركتها فئة شريحة شبابية تمثل ثلث مجموع السكان* – تمكنت من ربط المطالب السياسية بالمطالب الاجتماعية .ويؤكد اخيرا ان هذه الثورة هي ثورة الرموز الثقافية التي استفادت ووظفت مهارات وخبرات معرفية وتكنولوجية وتسويقية واعلامية فرضها منطق العولمة ،منفتحة على قيم التغيير الاجتماعية والسياسية والمشاركة الديموقراطية والتواصل مع العالم الاوسع لدور تعبوي واعلامي مميز في ثورة "25 يناير مصر" .

وفي قراءة تحليلية معمقة وشاملة للمفكر العربي "**خير الدين حسيب**"، في مقال :"حول "**الربيع**" **الديموقراطي :الدروس المستفادة** [22]"يشير الى انه من التعسف اطلاق تعبير "ثورة الشباب "على ثورتي تونس ومصر ،فاذا كان الفضل يعود الى الشباب في اطلاق شرارة الثورة ،فان معظم فئات الشعب قد ساهمت في تلك الانتفاضات والثورات ومن الموضوعي اطلاق تعبير "ثورة الشعب " في مصر ..اما عن دور شبكات التواصل الاجتماعي فيها ان هناك مبالغة في دورها في تحقيق هذه الانتفاضات والثورات ،صحيح انها "الفيس بوك ،تويتر."ساعدن في البداية في اشعال فتيل هذه الاحداث ،الا ان تلك الثورات والانتفاضات ما كانت لتظم كل هذه الفئات الاجتماعية لولا تراكم الوعي بضرورة الاصلاحات الجذرية التي ساهمت فيها جهات مختلفة فكرية وسياسية على مدة أربعين سنة الماضية .ويشاطره الراي **الباحث البرغوثي** الذي صرح: «آني لست مع النظرة الرومانسية للتكنولوجيا وكأنها تجري التغيير وحدها ،فالإنسان وقدراته وتنظيمه وتخطيطه هو الاساس ،والتكنولوجيا تأتي للمساهمة كأدوات في ايصال الانسان وتسهيل مهمته للوصول الى الهدف ولكن لا يمكن ان نستعيض عن القدرة البشرية والذكاء البشري الاجتماعي والتنظيمي وبالتكنولوجيا فقط"[23]

وهذا ما يعود اليه ايضا المحلل السياسي "هاني المصري "الذي اكد ان الشباب هو اساس التغيير والشبكات كأحد وسائل هذه التغيير

"

قائمة المراجع

1. عبد الله ممدوح مبارك الرعود :"**دور شبكات التواصل الاجتماعي في التغيير السياسي في تونس ومصر من وجهة نظر الصحفين الاردنيين**"،كلية الاعلام ،جامعة الشرق الأوسط،2011-2012.ص22.
2. – عواد, محمد, شبكات التواصل الاجتماعي الإلكتروني, موقع تأملات, أكتوبر 2010. متاح.(On Line)
3. http://www.taamolat.com/2010/10/blog-post_7300.html
4. الفيس بوك على موقع /wikipedia.org
5. عبد الله ممدوح مبارك الرعود ،مرجع سابق ،ص 10.
6. نفس المرجع ،ص9

على موقع اليوتيب. karim el Gang** من الصفحات التي تعني بالقضايا السياسية محليا ودوليا بالجزائر صفحة

7. http://sabrology.blogspot.com/2011/05/blog-post_27.html#.UIUNs2dxX_c
8. http://www.internetworldstats.com/stats5.htm
9. نوفة بنت مبارك عبد الله المبارك:**الخصوصية في الشبكات الاجتماعية** "،مركز التمييز الامن المعلومات ،ص 5.
10. **محمد المنصور**:" **تأثير شبكات التواصل الاجتماعي على جمهور المتلقين** دراسة مقارنة للمواقع الإجتماعية والمواقع الإلكترونية "العربية أنموذجاً"،**رسالة ماجستير في الإعلام والاتصال ،مقدمة إلى مجلس كلية الآداب والتربية / الأكاديمية العربية المفتوحة في الدانمارك.**

11. لينا العلمي:" **العضوية في مواقع التواصل الاجتماعي وأثرها في تحسين الوعي السياسي لدى طلبة جامعة النجاح الوطنية – كلية الاقتصاد**– " **دراسة مسحية** ،رسالة ليسانس علوم سياسية ، فلسطين.2011/2010

12. عبد الله ممدوح مبارك الرعود ،مرجع سابق

موقع أخبار الساعة, دور الإعلام الاجتماعي في تفعيل الثورات العربية, في 2011 / 09 / 15. متاح (On Line).

13. http://www.alsaanews.com/2011/09/%D8%AF%D8%B1%D8%A7%D8%B3%D8%A9-%D8%A3%D9%85%D8%B1%D9%8A%D9%83%D9%8A%D8%A9-

14. موقع طريق الأخبار, (1.9) مليون مستخدم جديد للإنترنت في مصر بعد الثورة, في 2011/3/18. متاح (On Line).

15. http://computer.akhbarway.com/news.asp?c=2&id=82379

16. عبد الله ممدوح مبارك الرعود ،مرجع سابق ،ص33.

17. عبد الله ممدوح مبارك الرعود ،مرجع سابق ،ص35.

18. عبد الله ممدوح مبارك الرعود ،مرجع سابق ،ص 37.

19. Wikipedia2011.

20. عبد الله ممدوح مبارك الرعود ،مرجع سابق ،ص 38.

21. أيمن حماد, **كيف صنعت شبكة الإنترنت ثورة 25 يناير**؟, الخميس 26 مايو 2011. متاح .(On Line) مصدر سابق.

22. http://www.tahrironline.net/Pages/NewsDetails.aspx?NewsID=11138